أنا الصخرة الصماء

مناوئون للقذافي يسيطرون على دبابة للجيش في منطقة الزاوية قرب طرابلس (بن كيرتس ـ أ ب)

الانضمام الى صفوف الثورة، الأثر الكبير والتطوّر النوعي على أداء المتظاهرين، الذين أصبحوا أكثر تنظيماً وأكثر قدرة على استعمال الأسلحة التي وقعت بين أيديهم، وخصوصاً أنهم أعلنوا فتح دورات عسكرية وإعادة استيعاب المئات من المواطنين الراغبين في حمل السلاح. وصار التنظيم العسكري بداية نواة لجيش يستعد للزحف على طرابلس، آخر حصون القذافي والموالين له.

الجدير ذكره أن ليبيا تمتاز منذ بداية سبعينيات القرن الماضي بعسكرة المجتمع، وتبرز هذه الصفة بالخصوص، في المناهج التعليمية، حيث تُخصّص مادة إجبارية للطلاب اسمها التربية العسكرية، ويخضع خلالها كل التلاميذ ذكوراً وإناثاً لدورات تأهيلية في استعمال الأسلحة والدفاع وبعض العلوم العسكرية والتكنولوجية، هذا إضافة الى شرعية حمل السلاح وانتشاره بين المواطنين، إذ لا يخلو بيت في ليبيا من قطعة سلاح أو أكثر.

ويقدّر بعض الخبراء عدد أفراد الجيش الليبي بنحو مئة وخمسة وخمسين ألف جندي، موزّعين على الأسلحة الأربعة، جيش البرّ، والبحرية، والطيران، والدفاع الجوّي. ويتعزّز هذا الجيش بكتائب أمنية وشبه عسكرية عديدة، كاللجان الثورية، وهي عبارة عن ميليشيات حزبية تابعة للقذافي مباشرة، حُلّت في 1996 لكنها عادت إلى الظهور في سنة 2008 وقامت بعرض عسكري في طرابلس وبنغازي بمناسبة ذكرى الفاتح من أيلول (ثورة القذافي عام 1969). وهناك الحرس الشعبي، وهم عبارة عن وحدات أمنية مكلّفة بحراسة المباني والمؤسسات الحكومية، يفتقرون الى الخبرة وتسليحهم بسيط. أمّا الكتائب الأمنية التي يترأسها أبناء القذافي وعددها خمس كتائب، أبرزها كتيبة «الصاعقة» التي يقودها المعتصم والتي أبيدت وتلاشت في بنغازي، وكتيبة خميس التي لا تزال تقاتل في مصراتة وضواحي طرابلس، فلا يُعرف بالضبط عدد المنتسبين إليها ولا حجم تسليحها، لكنها عالية التدريب ومضمونة الولاء. هذا بالإضافة الى حرس الحدود والشرطة وقوات مكافحة الشغب وقوات البادية الموجودة في الجنوب وبعض الكتائب القبلية البعيدة جداً عن العاصمة في أقصى الصحارى الليبية، والتي لم يُعرف حتى الآن موقفها مما يجري.

وتبقى معركة طرابلس بين المتظاهرين، الذين يزحفون عليها من كل الجهات، والكتائب الأمنية المعززة بالحرس الشعبي والشرطة واللجان الثورية وحرس الحدود. وما يُقال إنهم فرق مرتزقة من أفريقيا، هي التي ستحسم مصير الحكم في ليبيا في الأيام القليلة المقبلة.

في الثمانينيات والتسعينيات، وخصوصاً بعد إنشاء الكلية العسكرية والأكاديمية البحرية في بنغازي، والمدرسة الحربية للبنات في البيضاء، وأكاديمية الدراسات العسكرية بإجدابيا. كما توجد في درنة، أقرب المدن الليبية للحدود المصرية، مدرسة عسكرية وثكنة مدرعات.

وكان لوصول وزير الداخلية في حكومة القذافي، عبد الفتاح يونس العبيدي، إلى بنغازي وإعلانه

«الربيع العربي» يطيح إليو ماري

باريس ـ **بسام الطيارة**

في خطاب دام ست دقائق فقط، لم يأت الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي على ذكر اسم ميشال إليو ـ ماري التي دفعت نحو باب الاستقالة بسبب «قربها من زعيم تونس السابق» زين العابدين بن علي، من دون أن يمنع هذا المعلقين من القول إنها «أولى ضحايا الربيع العربي». وقد «اختبأ» ساركوزي وراء ما وصفه بأنه «تغيير تاريخي» في جنوب أوروبا ليبرر ضرورة «إعادة ترتيب الحكومة» تحت شعار «عدم التدخل، ولكن أيضاً عدم المبالاة» بما يحصل في العالم العربي. ولم يتردد في التلويح بضرورة الاستعداد لما يمكن أن يحصل في حال تردّي الأمور في تلك الدول مثل «تدفق المهاجرين». وفي مجال تبرير «مفاجأة الثورات العربية»، أصر قاطن الإليزيه على أن «أحداً لم يستطع التنبّؤ بما حصل»، في نوع من رفع المسؤولية لأن الجميع يعرف أن الإليزيه هو الذي يخطط لدبلوماسية فرنسا، إلا أن فقدان إليو ـ ماري كل صدقيّتها في الخارج جعل من هذا التغيير ضرورة. غير أن قصة الدبلوماسية الفرنسية لا تتوقف فقط على عدم قدرتها على استشفاف التحولات الكبرى في «الشارع العربي»، التي كانت متوقدة تحت رماد الصداقات مع زعماء يتربعون في مراكزهم منذ عقود، إذ إن مجمل الدبلوماسيات الغربية سقطت في فخ اليقظة العربية، إلا أن الكي دورسيه كان يعيش «حالة مرضية» منذ وصول ساركوزي إلى الإليزيه ولم يساعده البتة مرور «الطبيب برنار كوشنير» وزيراً لمدة ثلاث سنوات، ولا سيما أنه «جعل من مهنة الدبلوماسي مهنة تطبيل مسرحي»، وهو ما انتقده آلان جوبيه قبل التغيير الحكومي الأخير ورفض أن يترأس الدبلوماسية الفرنسية وفضّل وزارة الدفاع.

لكن جوبيه، الذي خبر سابقاً هذا المنصب (1993 ـ 1995)، قبل هذه المرة «إنقاذ ساركوزي»، والأخذ بمقاليد دبلوماسية مريضة بدأت انعكاسات مرضها تظهر على الساحة الداخلية. إذ إن هذا التغيير الذي «رفض ساركوزي أن يقوم به تحت الضغوط»، كما أسرّ لـ«الأخبار» منذ يومين مصدر مقرب من الإليزيه، هو بالدرجة الأولى تغيير حكومي يستهدف الرأي العام الداخلي قبل سنة وشهرين من انتخابات رئاسية لا تحمل أي تباشير إيجابية لساركوزي، الذي وصلت شعبيته إلى أدنى الدرجات في كل استفتاءات الرأي والتي تجعله «خاسراً أيّاً كان خصمه» من الاشتراكيين.

وقبل أن تنكشف أبعاد الثورات العربية والتغييرات التي تفرضها على التعامل مع بلدانها، كان ساركوزي قد دعا إلى حوار حول «دور الإسلام في فرنسا». ترديد ممل لطروحات سابقة استفاد منها للوصول إلى الإليزيه وكسب أصوات اليمين المتطرف. وكان آلان جوبيه هذه المرة إلى جانب عدد متزايد من نواب حزب الأكثرية في طليعة من «حذّر من اللعب بالنار»، إذ إن هذه الطروحات دفعت بالجبهة الوطنية إلى شعبية لم تصل إليها سابقاً، جاوزت الـ 20 في المئة.

> **آلان جوبيه يتولى الخارجية الفرنسية لـ«إنقاذ ساركوزي»**

هذا العامل لعب أيضاً بالمناصب الثلاثة التي جرى تعديلها، إذ إن كلود غيان، سكرتير الإليزيه والمقرّب جداً من ساركوزي، حل محل بريس هوتوفو الذي انتقده عديدون بسبب تصريحات عنصرية له وصدر حكم ضده بسببها. ويعرف عن غيان، رئيس الشرطة السابق، «ليونة ودبلوماسية» يمكنهما أن «تمررا قوانين ساركوزية متشددة»، يقال إنه كان وراءها عندما كان سكرتيراً للإليزيه من دون تصريحات عنصرية. التصريحات العنصرية أتت أيضاً منذ مدة ليست بعيدة ممن حل محل جوبيه في وزارة الدفاع، أي جيرار لونغي. ويذكر الجميع أنه في 11 آذار من العام الماضي، عندما سئل لونغي، بصفته رئيس كتلة الشيوخ التابعة لحزب ساركوزي، عن مالك بوتيح المرشح ليرأس «الهيئة العليا لمكافحة العنصرية ومن أجل العدالة»، جاء رده بمثابة صدمة للفرنسيين إذ قال إنه «شخصية معروفة ويمتلك صفات أخلاقية حميدة، لكنه ليس الرجل المثالي». وأضاف من المستحسن «اختيار مسؤول من أصول فرنسية بحتة لتولي هذه المهمات».

بالطبع، سوف تعود الانتقادات لهذه التصريحات وقد يسأله أحد الصحافيين هل سينظر من موقعه الجديد إلى أصول الجنود الذين سوف يوقع على أمر إرسالهم إلى ميادين المعارك. وعلى الرغم من تصريحاته، فإن اختيار لونغي يذهب أيضاً في اتجاه إرضاء اليمين المتطرف، ما يدل إن لزم الأمر على أن الربيع عربياً كان أو لا، فإن ساركوزي لا يتغير فهو يعرف أن عليه «سرقة أصوات اليمين المتطرف» للبقاء في الإليزيه.

إسرائيل: إيران وحزب اللّه يموّلان الاحتجاجات

اتهم مسؤولون إسرائيليون إيران وحزب الله بتوجيه الاحتجاجات في العالم العربي وتمويلها، متوقعين أن تصل موجتها إلى الأردن ولبنان، في وقت انتقدت فيه صحف عبرية صمت القيادة الإسرائيلية وعدم مبادرتها إلى طمأنة الرأي العام الداخلي حيال التسونامي الذي يجتاح الشرق الأوسط.

ونقلت صحيفة «يديعوت أحرونوت»، أمس، عن مسؤولين إسرائيليين قولهم إن «إسرائيل تتابع بقلق محاولات إيران وحزب الله والإخوان المسلمين التأثير في الأحداث»، وإن «الإسلام الراديكالي نشط جداً من وراء الكواليس ويساعد على تمويل وتوجيه جزء ممّا يبدو في التلفزيون أنه يشبه انقلابات ديموقراطية ضد أنظمة استبدادية».

وأضاف المسؤولون أنفسهم «برز خلال نهاية الأسبوع الماضي تصعيد في مستوى عنف التظاهرات في أنحاء العالم العربي». وتابعوا «مفعول الدومينو الذي يمر على العالم العربي لن يتوقف عند ليبيا بل سيستمر ويصل إلى كل واحدة من دول المنطقة، وضمنها الأردن ولبنان».

وفي السياق، رأى السفير الإسرائيلي السابق في إيران ومنسق أعمال الحكومة الإسرائيلية إبان الاحتلال الإسرائيلي للبنان، أوري لوبراني، أن ثورات تونس ومصر وليبيا والاحتجاجات في دول عربية أخرى تؤدي إلى تعزيز قوة إيران. وقال للإذاعة العامة الإسرائيلية، أمس، «لقد نشأت معادلة مفادها أنه كلما تراجعت قوة الولايات المتحدة زادت قوة إيران»، متّهماً طهران بالوقوف وراء تحريك الاحتجاجات في اليمن والبحرين لأنها «تريد تحقيق إنجازات في هاتين الدولتين».

ومثلما هي الحال منذ بداية موجة الثورات الشعبية في العالم العربي، بقيت الصحف الإسرائيلية على مستوى عال من المواكبة والتغطية للأحداث. وفي ما يعكس حالة القلق التي تنتاب الوسط الشعبي داخل إسرائيل من هذه الأحداث، وجّهت صحيفة «معاريف» أمس انتقاداً إلى القيادة الأمنية والسياسية الإسرائيلية طالبتها فيه بطمأنة الرأي العام وإشراكه في قراءتها للواقع وسبل الاستعداد له. وتحت عنوان «زعماء الصمت»، كتب يارون ديكيل، «لقد بات واضحاً الآن أن الشرق الأوسط يمر بثورة تاريخية لا تقل أهمية عن سقوط الشيوعية في شرق أوروبا قبل عشرين عاماً. ما يجري حولنا لم يعد يشبه الهزة الأرضية، بل هو حراك هائل للصفائح الجوفية. عيون العالم كلها مشدودة إلى المنطقة، وللأسف الشديد، فإن القيادة السياسية والأمنية في إسرائيل اكتفت في الأسابيع الأخيرة بردود فعل هزيلة على هذا التسونامي».

وأضاف الكاتب «لقد سقط نظامان عربيان، والثالث، وعلى ما يبدو الرابع أيضاً، في الطريق، لكن يتبيّن أنه ليس هناك من يفكر في هذه الفترة المصيرية في أن يشرك الجمهور في رأيه». وعرض سلسلة من الأسئلة التي تشغل بال الإسرائيليين وتبعث فيهم المخاوف على المستقبل، منها: «كيف تستعد إسرائيل للشرق الأوسط الجديد؟ هل هناك أحد من بين صناع القرار يفعل شيئاً غير مشاهدة الدراما التي ينقلها التلفزيون؟ هل هناك خوف على اتفاقات السلام مع مصر والأردن؟ هل ما يحصل يدعو الى تحريك المسار الفلسطيني أم السوري؟ أم أن ما يحصل بالذات يُعدّ سبباً وجيهاً للتريث والانتظار؟». وخلص إلى أن صمت القادة الإسرائيليين يطرح تقديراً حزيناً هو أنه ليس لدى صنّاع القرار في إسرائيل أي فكرة عن كيفية الاستعداد لمواجهة ما يحصل.

(الأخبار، يو بي آي)